قطا ولا فارا واضطر الجميع أن (١) يستبدلوا الدعوة الى النصرانية دينهم بالدعوة الى الاسلام مسالمة وخداعا

مابالنا نحن نستهون زندقة المسلم الكامل ومروق العالم العامل يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم

ما ذنب الشريعة الاسلامية اذن أن ترمى بالنقص والقصور فهل هو قصورها الذاتى أوقصورنا العرضي ؟ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له:

(كل الصيد في جوف الفرا)

شط بي القلم وأخشي أن تطوح به طوائح الفكر الى الابتعاد عن دائرة موضوعنا الاصلي فأمسك بعنانه هنا مستبقياً لاقرب فرصة تحرير هذا المقام . وتحقيق معني الاجتهاد . وكفالة الشريعة المحمدية بسعادة العباد وصلاحية المعاش والمعاد البقية تأتى (محمود أبو النصر)

أستاذ اللغة العربية
بمدرسة اللغات الشرقية بباريس

{سياحة سفن هدين}

فى أواسط آسيا

(تابع ماقبله)

ولما كانت هذه الآلات لاتصله قبل ثلاثة أشهر على الاقل رأي أن يقضي هذه المدة فى استكشاف بعض جهات الپامير وفي دسمبر عاد من كشغر الى مدينة خوتان لاستكشاف وادى (تاريم) مارا على مدينة يارقند أهم مدينة فى اقليم التركستان الصينية وبها كثير من الجوامع والمدارس وتجارتها

(١) أنظر محاضر جلسات الجمعيه الجغرافية بباريس وجمعيات الاستعمار الافريقي

رائجة وبها كثير من الروس ثم سافر في ٢٣ دسمبر من يارقند فوصل الى خوتان فى ٣ يناير سنة ٩٥ فوجدها مكونة من عدة قرى وأغلب سكانها مسلمون وبها مزارات (أضرحة) يقصدها المسلمون من جميع البلاد المجاورة لها بقصد التبرك

ومنها سافر الي مدينة الچى وهي من أكبر مدن هذا الاقليم وبها سبع مدارس وعشرون مسجدا وعدد من المزارات وبها آثار برج قديم كان أقامه أحد أمرائها واسمه حاجى يادشاه. وفي ٩ يناير سنة ٩٥ ذهب الي مدينة براسان فوجد بها وبضواحيها آثارا كثيرة يونانية وهندية قديمة جدا وبالقرب منها يوجد نوع من العقيق اسمه Néphrite

وأغلب من يبحث عنه من الصينيين وبينهم قليل من المسلمين ومنها قصد صحراء تكلامكانا ثانياً للبحث عن آثار مدينة قديمة أبادتها الرمال وأخذ معه مايلزم له هو ورفقائه من المؤونة مدة خمسين يوما وبعد مسيرة أربعة أيام وصل الي أطلال تلك المدينة فوجد بها آثارا كثيرة دالة على قدم عهدها وانها تخربت من نحو ألف سنة تقريباً أى قبل انتشار الاسلام فى هذه الجهات وأهم ماوجده صور فى حائط ذات أهمية عظمي فمنها نساء خفيفات الملابس قاعدات القرفصاء وتحت أنوفهن خطوط صفراء كالتى توجد الآن فى وجوه الهنود ثم وجد نقوشات أخري بارزة بها صور ذوى لحى طويلة يشبهون بزيهم وملابسهم سكان بلاد فارس وكثيرا من صور الحيوانات ثم أخذ يفحر فى بعض البيوت المتخربة فوجد قطعة من ورق البوردى عليها كتابة مجهولة وقدم تمثال من الجبس بالقدر الطبيعي يظهر منها تمثال لبوذا معبود الهنود ووجد كذلك عدة تماثيل من الجير طولها من عشرة الي عشرين سنتمترا تمثل معبود البوذيين

جالساً بهيآت مختلفة وكثيرا من أواني الفخار جميلة الصنع وبالاختصار وجد بهذه المدينة مايثبت أن سكانها كانوا بالغين من التمدن درجة عظمى الا انه لم يمكنه معرفة تاريخ تأسيسها ولا تاريخ اندراسها وانما تحقق فقط انها سابقة على الفتح الاسلامي بدليل وجود هاته الاصنام البوذية ثم استكشف السائح وادى (كيرياداريا) وماعلى شاطئه من الغابات الكثيفة وزار أطلال مدينة أخري أغارت عليها الرمال فدرست أغلب معالمها ويسميها سكان هذه الجهة «قره طاغ» وعثر فيها المترجم على آثار عربية استدل من وجودها على أنه كان بهذه الجهات طرق منتظمة وبجوارها قابل عدة قطعان من الجمال غير مستأنسة ومن المظنون ان الجمال لاتوجد بهذه الحالة الا في هذا الاقليم

وبعد ذلك قصد السائح استكشاف وادي نهر تاريم الذى يصب فى بحيرة «لوب نوور» وفى ٢٣ فبراير وصل مدينة «شاهيار» بعد ان اخترق الصحرة الاسيوية من الجنوب الي الشمال وبعد ان زاد حوض بحيرة «لوب نوور» عاد الى مدينة (خوطان) للاستراحة والاستعداد للعودة الي بلاده الا انه لم يختر أقرب الطرق وأسلك المسالك بل صمم على اجتياز بلاد الصين من الغرب الي الشرق مارا بجبال التيبت الى (بكين) عاصمة الصين ومنها يعود الي أوروبا عن بلاد الموغول فسيبريا

وفي ٣٠ يوليه سنة ٩٦ سافر الي بلاد (التيبت) واجتاز الصف الاول من جبال (كوين لون) العظيمة من مضيق ارتفاعه ٤٧٨٠ متر

وفى ٢٣ أغسطس ابتدأت القافلة في صعود جبل «ارقاطماع» أعلى الجبال التى تحول دون الوصول الي بلاد (التيبت) من هذه الجهة الشمالية كما ان جبال هيمالايا تحول دونها من الجهة الجنوبية فوصل فى صعوده الي ارتفاع

٥٥٨٠ مترا وبعدها سارت على هضاب (التيبت) واستمرت فى سيرها نحو ستة أسابيع لم ترفيها انسانا لخلو هذه الجهات العالية من السكان وقاست القافلة في هذه الرحلة بسبب البرد والزوابع الثلجية اكثر مما قاسته فى صحري (تكلا مكان) من العطش وفقد في خلالها معظم ما كان معه من الحيوانات حيث كان معه في مبدئها ٥٦ دابة بين خيل وحمير لم يصل منها معه الا سبعة فقط

وفى ٢٨ ستمبر وجد فى طريقه آثار انسان فداخله البشر والايناس وترك الخوف واليأس وفى أول اكتوبر قابل بعض المغول بعد أن قضي ٥٥ يوما لا يرى فيها انسانا وبعد أن استراح يومين واشترى من هؤلاء القوم الرحل ثلاثة خيول سافر في ٤ اكتوبر موليا وجهه شطر المشرق فوصل فى اليوم التالى الى مدينة تسمي (هاراتو) وبها اشترى عشرين حصانا وما يلزم من المعدات الضرورية ثم سارت القافلة محازية للصحراء من جهة الجنوب مدة احدى عشر يوما الى أن وصل الى مدينة تدعى « تنكه لك كول » ومنها عبر نهر « تسايدام » ميمما نحو مدينة « بكين » عاصمة الصين ولم يكن بينها وبينه الا ألفا كيلو متر

فمر في طريقه على بحيرات طسون نور (١) وعدة بحيرات أخرى أشهرها وأهمها (كورلوك نور) التي تسمى أيضا (قره نود) وقد صادف فى طريقه بعض فرسان المغول المشهورين بقطع الطرق وسلب القوافل فأخذ حذره وصار يرتب الحفر ليلا بالمناوبة حتى لا يفاجئهم اللصوص أو يأخذوهم على غرة واستمر على هذا الحال من الخوف والقلق الى أن وصل الي بحيرة كوكونور (ومعناها البحيرة الزرقاء) وهي بحيرة عظيمة الاتساع طولها ١٠٧ كيلومترات

(١) ومعني نور بلغة القوم البحيرة

وعرضها ٦٣ تحيط بها جبال شاهقة ويبلغ ارتفاع سطحها عن البحر ٣٥٠٠ تقريبا وتسمي باللغة الصينية (تسنغ كاي) ويسكن حولها بطون من الموغول تسمى « فانجوت » تابعون للحكومة الصينية اسما فقط ويحكمهم شيوخهم بحسب عوائدهم القديمة وتكتفي الحكومة الصينية منهم بجزية قليلة لا يدفعونها بانتظام وهم يشتغلون بتربية الخيول والاغنام فهم يشبهون عرب البادية من أغلب الوجوه وسارت القافلة ثلاثة أيام بمحاذاة الشاطيء الشمالي بحيرة (كوكونور) المذكورة ثم اجتازت الجبال التي تحد وادي هذه البحيرة من الجهة الشمالية ونزلت الى السهول الصينية الممتدة الي المحيط الپاسيفيكي على مسافة ١٥٠٠ كيلو متر واتبعت في طريقها نهرا يصب في نهر (هوانج هو) وقد لاحظ المترجم ان للصينيين الاغلبية في هذه الجهات وان عنصرهم هو السائد على العناصر الاخرى . وبعد نحو أسبوع وصل الى مدينة تدعي (تنكار) وجد بها زوجة مرسال هولاندي اسمه (ربنهارد) أتي معها الى هذه الاقاليم السحيقة لنشر المسيحية وقد توغل في البلاد وترك زوجته وصهره بين أقوام يباينونها في الاخلاق والعوائد ووجد بها الوفد الذي يرسله والي بلاد التبت كل سنوات مرة الى امبراطور الصين ليقدم له الجزية المفروضة وهي عبارة عن بعض أسلحة وأقمشة وفواكه مجففة وأخشاب نفيسة مثل الصندل والعود وهذا الوفد يقطع المسافة بين مدينة (كهسا) (١) عاصمة التبت ومدينة بكين ذهابا وايابا في نحو سنتين فتأتي أولا الى مدينة تنكار في ثلاثة شهور ثم تستريح سنة كاملة وتسافر منها الي بكين فتصلها في نحو شهرين وبعد ان تقيم بها ثلاثة شهور تعود الى

(١) مدينة عظيمة في وسط جبال التبت يبلغ عدد سكانها ٥٠ ألفا ويقيم بها رئيس البوذيين الاعظم الملقب (ولاى لاما) وبها كثير من الاديرة وزارها قليل من الاوروبيين

تنكار فتقيم بها أربعة شهور ثم تعود الى التبت

﴿ سفن هدين ﴾

وبعد ذلك سافر هذا الرحالة الي مدينة {قوم بوم} ليرى مابها من المعابد الشهيرة. ومن أغرب ماوجده في هذه المدينة شجرة على أوراقها نقوش طبيعية تشبه فى تعاريجها الحروف الصينية المكونة لجملة يقولونها فى صلواتهم ولذلك

يبيعها القسوس بأثمان غالية ويتنافس الزوار فى اقتنائها تبركا ولقد بحث كثيرا عما اذا كانت النقوش طبيعية أو من أعمال القسوس فلم يهتد للحقيقة

وفى ٢٥ نوفمبر وصل الى (سيفنج فو) وفيها افترق من خدامه الذين رافقوه من التركستان وأعطاهم { على قوله } ضعف أجرتهم مكافأة لهم على اخلاصهم له في هذه الرحلة الطويلة ولم يستبق معه الا (اسلام باى) . وفي أول ديسمبر اجتاز السور العظيم { ١ } ووصل الي مدينة (ببانج تشيفو) فوجد بها مكتبا للتلغراف فأرسل فى الحال رسالة الي ملك السويد يخبره فيها بنجاح رحلته

وبعد ان استراح قليلا سافر منها فى ٢٦ دسمبر قاصدا مدينة { تنج هيا } لكن لم يتبع أسهل الطرق بل مر من الجزء الجنوبى من صحارى الاشان على مسافة ٤٦٥ كيلومترا ويوجد فى هذه الصحراء بعض قبائل من المغول الرحل وعلى حافتها مدينة تدعي «فرمافو» يأتون اليها للمقايضة على أغنامهم بملابس ودقيق وغيرهما وبهذه المدينة أمير مغولي تابع لحكومة الصين أحسن مقابلة الرحالة وأخذ يستعلم منه عن بلاد السويد التى لم يسمع عنها قبل . وفي ١٨ يناير سنة ٩٦ وصل الى مدينة تجسا فوجد بها مرسلا سويديا أقام عنده الى ان بارحها

وفى ٤ فبراير اجتاز نهر «هوانجهو» على الثلج وبالاختصار وصل مدينة

(١) هو سور عظيم أقامه ملوك الصين من نحو أربعمائة سنة قبل المسيح لصد هجمات قبائل التتر والمغول وطول هذا السور الفان وخمسمائة كيلو متر يبتديء من خليج بيتشلى ويتجه غربا الي صحاري جوبى وهو مكون من حائطين ملىء مابينهما بالتراب ورصف أعلاهما بالحجارة بحيث يستطيع ستة من الفرسان أن يمروا فوقه واحدا بجانب الآخر وبه عدة أبواب تعلوها أبراج منيعة . وقد كان هذا السور كافيا لصد هجمات القبائل البربرية من جهة الشمال الا انه لم يفدها شيأ لمنع الاوربيين الذين جاؤها بحرا ولا الروسيين الذين جاؤوها من منشوريا فأخذوا ماوراء السور